شهادات

أ. بـابـا سـيدي

يهـود مغـاربـة

لا نستطيع ان ندفع عنا شعورا بالحزن الممض ونحن نعاين اليوم مدى تقلص الوجود اليهودي ، لدرجة التلاشي ، في المغرب · ذلك ان العشائر اليهودية الكبيرة في طنجة والصويرة وفاس ، ومراكش والرباط ، اصبح عددها لا يتجاوز عشرات الاشخاص بعد ان كان يحسب بالآلاف في الامس القريب · والذين يصادفهم الزائر في معظم الاحيان ، هم شيوخ اشبه بالظلال الهاربة ، لهم طابع كاريكاتوري احيانا ، ويقدمون شهادة مؤلمة على حضور يصعب انتزاعه من التراب المغربي · لقد غابت الحياة اليهودية بنزوح الشباب وبهجرتهم المكثفة · ولتدعيم هذا الانطباع ، يكفي ان نذكر بأنه لم يعد هناك سوى ثلاثين الف يهودي بعد أن كان عددهم ٣٥٠ ألف نسمة · ومعنى ذلك أنهم أقلية جد ضئيلة وسط ١٨ مليون من سكان المغرب ·

هل يتحتم ، في مثل هذه الشروط ، أن نعتبر بأن الصفحة قد طويت نهائيا وبأن الوجه اليهودي المغربي ينتسب ، منذ الان ، الى التاريخ والى عالم النسيان ؟

اذا كان الامس على ما صورناه ، فما هي الحظوظ التي يمكن اعطاؤها لحركة العودة التي بدأت اليوم بين المغاربة اليهود النازحين ، والتي تعمل اوساط مغربية واسعة على تشجيعها بما في ذلك الحكومة نفسها ؟

ان هذا التساؤل المزدوج ، يقودنا في الواقع ، الى صياغة لعبة معقدة من الاسئلة العديدة النابعة من آفاق جد متباينة · وموضع التساؤل قبل كل شيء ، هو الشخصية اليهودية المغربية وما يتصل بامتلاء تمثيلها الملموس ، وبالكثافة المادية لكينونتها · أليس وجود هذه الشخصية ، المفصولة عن جذورها الحقيقة ، مهددا بأن يختزل الى مجرد هلوسة ورغبة نوستالجية ؟ ان اليهود المغاربة ، سواء كانوا في اسرائيل او في كندا او في فرنسا ، فانهم يعبرون عن حنين قوي الى وطنهم · وهو وضع منفى يعيشونه بدرجات مختلفة من الانبهام ، في مجموع تفاصيل الحياة اليومية ، بعيدا عن كل موقف مسنود